نافذة

أرأيت الجهل؟

أرأيت ذاك الذي يعتمر عمامة، ولا يحفظ آية من قرآن؟! بل أرأيت ذلك الذي لا يجيد القراءة في القرآن وهو يلبس جبة وعمامة وتوابعهما، وحين يطلب إليه أن يقرأ آية من إحدى السور الطوال، فإنه لا يعرف إن كانت سورة يوسف قبل الأنعام بالترتيب، فيهرع إلى الفهرس ليعرف رقم الصفحة وليته لم يعرف رقمها، لأنه عندما قرأ ظهرت حقيقته جلية واضحة، فهو لا يميز بين الفعل المعلوم والمجهول، ومن ثم لا يعرف الاسم من الفعل، وأكثر من ذلك يغضب حين يصحح له محاوره، ويطلب منه أن يصبر لأنه يصحح لنفسه، ما يجعلنا نخجل من أنفسنا ونحن نتابع، فالقراءة والخطأ والتصحيح كنا نمارسه عندما كنا في الأول الابتدائي، وقبل أن نجيد الوضوء! فكيف بشيخ يلبس علامة العلم الشرعي ويفتي؟! والأمر لا يقف عنده، بل يأتي إلى المحاور الذي يلبس الزي الديني نفسه، ويقوم بسؤاله وإحراجه على الشاشة، وعلى مرأى من الناس! أليس الأجدى أن يهدي إليه عيوبه لعله يهتدي؟! ألم يعتوره شيء من ألم وهو يسمعه ويحاوره؟! ألم يتخيل سلبية هذه البطولة على جاهل هو يعرف جهله بشكل تام؟!

أفهم أن يخرج علينا علماني في إحدى الشاشات ويقول (سورة الرمز) بدل (سورة الزمر) مع أن ذلك غير مسوغ بما أنه طوّب نفسه على أنه مفكر، وكتبه تقتحم الأعين، ومشاركاته في أهم المؤتمرات والمنتديات أكثر من أن تحصى! ومن يعمل على التصدي للفكر الآخر فعليه أن يلمّ به، ومع ذلك أفهم هذا الخطأ وإن كنت لا أسوّغه، أما أن يصدر خطأ فادح من ابن المهنة والعلم، فهذا أمر لا يحتمل!

فتصور أن أحدهم، وقد حصل، يقول: أوس القرني، ولا يعرف هذا الأشعث الأغبر الذي لو أقسم على الله لأبرّه!

في كل ميدان تنتابك الدهشة والصدمة وأنت تتابع وتقرأ عندما تجد أحد الذين يحملون الألقاب العلمية الرنانة ويحدثك بالمنامات التي تتجاوز الحدّ المسموح للعقل بالقبول به، مهما كان مستواه العلمي والأكاديمي، فيضيع كل علمه لأنه جارى البسطاء ليكسب ودهم وحبهم وشعبيتهم... وعندما ينهال عليك أحد الذين يدعون إلى التسامح والحب والود ويبدأ حديثاً لا ينتهي كل ما فيه يدعو إلى التعصب والتقهقر والتراجع!!

وعندما تتحدث إلى إعلامي في الإعلام المقروء أو المسموع أو المرئي لتقول له: حاول أن تهتم بالفصيحة ما أمكن، وتقبل من الفصيحة الدارجة ليبتعد عن العامية، فيقول لك: أنا لست متخصصاً، والإعلام بحاجة إلى بساطة ومسايرة للناس...! وكل محاولاتك معه للارتقاء درجة باللغة تذهب أدراج الرياح... وتقطع الأمل منه في أن تقوّم لغته، وقد وقعت بيني وبين عدد منهم خلافات بعد حوارات، ومع أنني لست متشدداً إلا في السلامة اللغوية، فقد وصفوني بالتشدد اللغوي...!

واليوم ونحن نحتفي باللغة الأم، ولغتنا الأم هي اللغة العربية، فإن المطلوب منا أن نعمل من أجلها لا أن نتغنى بها وبجمالها، فمهما تحدثنا عن جمالياتها وإعجازها وقرآنها، فإن هذا الحديث يبقى حديث ذات لا يصل إلى أحد ولا يقنع أحداً.. والمطلوب من أبنائها، ومن المجمعيين خاصة أن يعطوها سبل الانتشار والحب، ولا أقول البقاء، فهي باقية، وعلى إعلامنا وأساتذته أن يسعوا إلى لغة فصيحة مقبولة وتسير على الألسنة، وتدفع إلى الحب لا النفور من اللغة باستخدام الغريب من الألفاظ لإثبات المقدرة... ولا يقبل من إعلامي يتحدث العامية أن يخطّئ الآخرين وهو يجهل أي خصيصة لغوية، وتراه فجأة يأخذ مكان سيبويه ليدافع، وليته دافع عن صواب، بل دافع عن خطأ صريح وواضح!!

أرأيت كيف صرنا جاهلين شرعنا ولغتنا وذواتنا؟!

العمل والحياة في الحاضر ومعرفة القدر الحقيقي وراء خروجنا من كل أزماتنا.. المشكلة في الثقافة وليست المشكلة في سواها.

إسماعيل مروة

هواجس الغربة

وسام حمود- السويد

عندما غادرت دمشق وتركت ورائي دموع أبي، وحاسوبي الذي يحمل كل الحروف التي أنتجتها مخيلتي عبر سنوات طويلة، اعتقدت أني سأبدأ مرحلة مخاض جديد خالٍ من الأزمات، وأن أبواب القطب الغربي ستكون ملاذاً لآمال، وأحلام قطعتها الحرب اللئيمة، وأن الشوق لشوارع مدينتي سيمر على باب الذاكرة مرور كرام، وكما غيري خضت غمار البحر وأنا أضع أمامي صورة لذلك الآخر الذي سيلفني ويطبطب على كتفي المهزوم لترميمه من مشاهد كسرته وأنهكت عزمه.

رست السفن في أرض جذبتك ديمقراطيتها وقوانينها، وحقوق الإنسان فيها، والأمان الذي سلب وسرق من جسد بلدك، وضعت الحقائب وبدأت الرواية التي ما إن تكاد تنهي فصلها الأول بخاتمة أنك لا محالة باق حتى الممات، حتى تجد أن رائحة قوية تخترق مسامات دماغك فتنعشه لتبدأ من جديد صراعك مع الخواتيم.

يمر يوم ويطل بعده يوم آخر، سنة وراء أخرى، وعداد الوقت لا ينفك يلاعبك، في كل لحظة حساب للزمن، عام عامان، ثلاثة أعوام وأنت عاجز عن وضع حد للحنين، وعاجز عن رسم الفصل الأخير، ففي الغربة الفصول كلها شتاء، والربيع ليس حنونا، والصيف خال من الدفء، والخريف بكل ألوانه هو جعبة من الذكريات.

في الغربة لا تفضل التجول في الشوارع في وضح النهار كي لا ترى تلك البيوت المرسومة بعناية كما كنا نشاهدها في برامج الأطفال، بل تنتظر السماء أن تصبغ صفحتها بالسواد كي لا ترى سوى الأضواء من النوافذ والأبنية لأنها ليلا تتقارب مع أبنية ديارك، فتتوهم أنك في حي الزاهرة، أو أبو رمانة، ولكن حتما مهما حلقت بخيالك فلن تجد حارات الميدان في أي مكان لأنها لوحة لا يمكن للآخر أن يعيد تشكيلها في عماره الحديث البارد..

الأحلام في الغربة تبقى أحلاما غير قابلة للتحقق إلا بجلد الذات، وصلبها على جدران لا تحمل رسومات شاب مراهق أخبر حبيبته أنها أجمل فتيات الأرض، ولا تحمل شعارات الموت لإسرائيل، بل تحوي صورا تقف أمامها حائرا فهي لا تلبي مطالب روحك.

في الغربة تناقضات عظيمة وغريبة، وصراعات مريرة أقبح من صراعات على السلطة، هي بين القلب والعقل، وبين الروح والوجدان، والضمير، تجد نفسك أحياناً كما الدونكيشوت تحارب طواحين الحياة، معركة وهمية لا يوجد جنود فيها سوى أنت وذلك العقل الذي يرفض الاستسلام لمقررات القلب، والقلب الذي يأبى الخضوع إلا لنبضه.

صراعات وحرب طاحنة تبين لك من هم أدباء المهجر، ففي مراحلنا التعليمية في اللغة العربية كنا نمتعض ما لنا ولأدباء المهجر، ما ذنبنا لحفظ أدبياتهم وأشعارهم، اليوم فقط ندرك أن ما كتبوه ليس كلمات على ورق، بل ألم، وذل، وقهر، رسموه بدماء عيونهم لأن الغربة تنهشك من الداخل فتغدو روحا تهيم على كوكب الأرض لا تطال موطئ قدم، ولا ارتفاع سماء.. فتلجأ لما سجلوه من أحزان لأنك بت تتشارك معهم ذاكرة وطن.

في المفاهيم العقلانية يعتقد البعض أنك كنت محقا في الابتعاد، فالموت قريب حد الرمش، وفي مفاهيمي وكثر يؤيدون كان من المعيب أن نكون جبناء، فالجبن إحساس مؤرق يشطرك إلى ألف قطعة.

التطبيع والمطبّعون في مصر كشف لخفايا المعضلة الكبرى

هدفت إسرائيل من «التصارعية» أو «التصالحية» إلى عزل وتحييد مصر والهيمنة على قرارها

إعداد: سارة سلامة

صدر للدكتور رفعت سيد أحمد الكاتب والباحث المصري موسوعة بعنوان: (التطبيع والمطبعون في مصر ١٩٧٩ | ٢٠١١)، وكان قد استغرق إعدادها ٦ سنوات من التوثيق والرصد والتحليل لكل جوانب العلاقات المصرية الإسرائيلية، وتقع في ٣ مجلدات من الحجم الكبير بعدد صفحات تجاوز ٢٥٠٠ صفحة مبوبة في ٦ أبواب رئيسية، إضافة إلى فصل تمهيدي عن مقدمات التطبيع وفصل ختامي عن التطبيع بعد ثورة كانون الثاني ٢٠١١، ويتناول الباب الأول من الموسوعة التطبيع السياسي، على حين يتناول الباب الثاني التطبيع الاقتصادي، ويتناول الباب الثالث التطبيع الإعلامي، على حين يعرض الباب الرابع للتطبيع الثقافي، ويعرض الباب الخامس للتطبيع الاجتماعي، والباب السادس يعرض التطبيع الديني.

وتحوي الموسوعة وثائق مهمة منها محضر لاجتماع كسينجر وجولدا مائير، خلال مفاوضات فك الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية عام ١٩٧٤، ونماذج من وثائق المخابرات الأميركية عن عملية السلام عام ١٩٧٧، وكذلك البيان التأسيسي للحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل، فضلاً عن نماذج من بيانات وأنشطة اللجنة العربية لمساندة المقاومة في لبنان وفلسطين والقائمة الكاملة لمجازر العدو الصهيوني من ١٩٣٦ حتى ٢٠١٢.

قصة لا تزال تكتب سطورها بالدم حتى لحظتنا

الفكرة المركزية للموسوعة

يستند هذا العمل الموسوعي إلى فكرة مركزية قوامها أن قصة الصراع العربي الصهيوني قصة معقدة، ومتداخلة، لا تزال تكتب سطورها بالدم حتى لحظتنا هذه، وأن فصل العلاقات المصرية- الإسرائيلية هو أكثرها طولاً وتعقيداً، نظراً لمحورية (مصر) في أمتها العربية، ولأن العدو الصهيوني اعتبرها العقبة الأولى والأخطر في المنطقة، التي تحول دون ترسيخ وجوده في فلسطين واختراقه للمحيط العربي والإسلامي، خاصة بعد فترة من العداء والمقاومة الصريحة له من نكبة ١٩٤٨ وحتى حرب ١٩٧٣، وكان ذروتها الحقبة الناصرية بخطابها الثوري، بتجربتها المعيشة سواء بانتصاراتها (١٩٥٦) أم انكساراتها (١٩٦٧)، ولقد كانت مصر، هي الأبرز والأهم في قصة الصراع سواء من المنظور الصهيوني أم من ناحية الواقع العربي، ولذلك عملت الإستراتيجية الإسرائيلية على هزيمتها وإن لم تفلح فاختراقها وتحييدها، ولا بأس في عزلها تدريجياً عن أمتها وقضاياها، وهذا هو جوهر ما سمي لاحقاً «التطبيع» الذي استهدف بالأساس «تعرية مصر»، عن ردائها العربي وفصلها عن جسدها الإسلامي وثقافتها التاريخية التي كانت «المقاومة» لمشاريع الاستعمار والهيمنة على قمتها.

لقد هدفت إسرائيل من خلال علاقاتها «التصارعية» (١٩٤٨ – ١٩٧٧) أو التصالحية (١٩٧٧ حتى اليوم ٢٠١٤) إلى عزل وتحييد مصر والهيمنة على قرارها المستقل وتحويلها إلى مجرد دولة ثانوية بلا تأثير في محيطها العربي والإسلامي، والغريب أنها وفي ذروة الصراع والحروب لم تنجح في هدفها هذا، لكنها بما سمي «السلام» والتسوية والعلاقات الاقتصادية والسياسية أو بما اصطلح على تسميته (التطبيع) نجحت على الأقل على مستوى القيادة الحاكمة، وإن استعصى عليها الشعب بنخبته طوال ما يزيد على ٣٧ عاماً من التطبيع في كل شؤون الحياة المصرية.

نشأة السفارة وتاريخ العلاقات الدبلوماسية

يحدثنا التاريخ أنه قد تم افتتاح سفارة إسرائيل بالقاهرة يوم ١٩٨٠/٢/٢٦ بعد أكثر من عام ونصف العام على توقيع معاهدة السلام المصرية- الإسرائيلية عام ١٩٧٩ ولقد تنوعت العلاقة بين الحكومة المصرية وإسرائيل وأضحى لها جوانب عديدة اقتصادية وسياسية وثقافية وسياحية، والمهم في هذا المحور هو الجانب السياسي أو الدبلوماسي، وهو الجانب الذي تولته سفارة إسرائيل بالقاهرة، تلك السفارة التي ظلت لفترة وجيزة في أحد الشوارع الجانبية بمنطقة الدقي بالجيزة، أوائل الثمانينيات، ونتيجة للتحركات الشعبية الرافضة لوجودها وأيضاً لاعتبارات أمنية إسرائيلية، تم نقلها إلى الدورين الأخيرين (أعلى العمارة المكونة من ١٥ طابقاً) في العقار رقم ٦ شارع ابن مالك بالجيزة الذي صار اسمه (شارع الشهيد محمد الدرة) تعبيراً من أعضاء المجلس المحلي بالجيزة عن التضامن مع انتفاضة الشعب الفلسطيني من ناحية ورفضاً منهم- كما أعلنوا في قرارهم- لوجود هذه السفارة بحيهم من ناحية أخرى، الأمر الذي سيضطر رجالهم إلى كتابة اسم الشهيد محمد الدرة على كل مراسلاتهم مستقبلاً، ولقد تم اختيار الطابقين الأخيرين لاعتبارات أمنية بالأساس وربما لأسباب أخرى لم يفصح عنها من اختار العقار.

رفعت سيد أحمد

من أسرار التطبيع الثقافي

يمثل التطبيع الثقافي (الذي خصص له باب كامل في الموسوعة) الدعامة الرئيسة لبناء السلام في المنطقة من وجهة النظر الإسرائيلية، وهو لديهم أكثر إقناعا، وأكثر استقرارا من أي ترتيبات أمنية عابرة مثل المناطق المنزوعة السلاح، ووضع جيش أجنبي، وأجهزة الإنذار، وضمانات الدول الكبرى، وهو العامل الحاسم على المدى البعيد، فالصراع في وعي الشعوب قبل أن ينتقل إلى أرض الواقع، والمطلوب من جانب الصهاينة ببساطة، هو نزع العداء من العقل العربي استكمالا لمحاولة نزع السلاح من اليد العربية. وهي المهمة التي يتكفل بها التطبيع السياسي والأمني.

ومن وجهة نظر القائم بالتطبيع الإسرائيلي، فإن كل «عقدة» ولها حلها لدى الإسرائيليين، فإذا كانت مناهج التربية والتعليم السابقة تحض على الكراهية، فإنه يمكن تغييرها لتشيع قيم السلام. وإذا عاقت الحقائق التاريخية تصفية الأحقاد يمكن تجاهلها والتركيز على الجوانب الإيجابية. موقف الإسلام من اليهود أيضاً كان له حل لديهم، فإذا كانت «المفاهيم السلبية» تسود الدين الإسلامي يمكن إزالتها!

هذا وقد كان العنصر الثقافي واحداً من العناصر الأساسية للمفاوضات بين إسرائيل ومصر، وتم تضمينه في اتفاقية الإطار بكامب ديفيد، جنباً إلى جنب مع ترتيبات الأمن وإنهاء المقاطعة وفتح الأسواق المصرية أمام المنتجات الإسرائيلية، ثم جرى تأكيده وتحديد خطوات المفاوضات بشأنه في معاهدة السلام وملحقاتها.

سبل مواجهة التطبيع

نعتقد أن حجم الاختراق الإسرائيلي للمنطقة العربية الذي تم في سنوات التطبيع الأولى ظل محصوراً في نطاق النموذجين المصري والأردني من ناحية، وفي نطاق التعاون غير المباشر عربياً مع بعض المؤسسات البحثية الأميركية من ناحية أخرى، لقد كانت المواجهة بالإجمال ضعيفة وغير منسقة الأدوار رغم النجاحات المحدودة لبعضها كما هو الحال في مصر، وباستعراض نموذج واحد (مبكر جداً) من نماذج المواجهة المصرية المنفردة للاختراق الصهيوني للعقل المصري، يمكننا أن نخلص إلى عدد من الدلالات المهمة قد تفيد في مجال التدعيم العربي لمصر في هذا الجانب، والنموذج الذي نقدمه هنا شارك فيه كاتب هذه السطور شخصياً، وعاصر تجربته وهو نموذج (معرض القاهرة الدولي السابع عشر للكتاب) في١٩٨٥، فلقد التحم الشعب المصري بمثقفيه ودور النشر الوطنية والأحزاب السياسية وهيئات التدريس بجامعات مصر والنقابات الوطنية، في مواجهة الوجود الإسرائيلي بالمعرض واستطاع أن يحول أرض المعرض لمواجهة حقيقية ترفض التطبيع والاختراق العقلي والعنصرية الثقافية والسياسية.

التطبيع الإخواني

أكدت الحقائق بعد ثورة ٢٥ كانون الثاني أن الإخوان وافقوا على استمرار التطبيع والعلاقات الخاصة مع واشنطن وتل أبيب، خاصة بعد زيارة مساعد وزير الخارجية الأميركية وليم بيرينز إلى مصر ولقائه قادة الإخوان، ثم لقاء العديد من القيادات السياسية الأميركية بهم بعد الثورة من أمثال (جون كيري- جون ماكين- هيلاري كلينتون وغيرهم) وهو ما يعني أن الحلف الإخواني الأميركي قد أضحى واقعاً فعلياً، واجتاز مرحلة البدايات والتأسيس، ليبقى السؤال: على ماذا تم الاتفاق؟ من المعروف أن أكثر ما تريده واشنطن من مصر هو استمرارها بالدور نفسه الذي كانت تؤديه خارجيا، لجهة ضمان مصالح واشنطن في المنطقة، وضمان مصالح إسرائيل، المتمثلة بالإبقاء على معاهدة السلام كما هي، إضافة إلى استمرار تأمين إسرائيل بالطاقة، والضغط على الفلسطينيين، للدفع باتجاه سلام يوائم إسرائيل وواشنطن على حساب فلسطين التاريخية.

وهو ما يبدو أنه تم الإعداد له مع دخول حركة حماس المعترك السياسي من أوسع أبوابه بعد أن أصبح النظام الرسمي في المنطقة كله بيد المرجعية الأيديولوجية لها «الإخوان». وهنا يبدو أن الإخوان سلموا واشنطن كل ما تريد فعلياً، حيث أعلن الإخوان مواربة حيناً وصراحة حيناً آخر، أنهم لن يلغوا معاهدة كامب ديفيد، مع ترويج فكرة أنهم قد يعيدون النظر بها أو يعرضونها على استفتاء شعبي، وهذا ربما لإسكات الشارع المطالب بإلغاء الاتفاقية، ويتم هذا الكلام مع ما صرح به نائب وزير الخارجية الإسرائيلي داني أيالون من أن «السلام بين بلاده ومصر مستمر حيث تلقت بلاده تأكيدات حول نيات جماعة الإخوان المسلمين بالاعتراف باتفاقية كامب ديفيد للسلام بين مصر وإسرائيل، العلاقات بين البلدين لن تتغير كثيراً في المستقبل بسبب التغيير السياسي في مصر»، وفي العام ٢٠١١ وبعد الثورة أعلن أحد مرشحي الجماعة في سيناء الدكتور عبد الرحمن الشوربجي أنه موافق على تصدير الغاز إلى إسرائيل مادام ذلك تم بالأسعار العالمية.

في المجال الاقتصادي

توقفت مصانع الكويز عن العمل في بداية شباط ٢٠١١ بسبب إغلاق الموانئ وإغلاق سيناء والاضطرابات في شبكة الإنترنت، وتم استئنافها في بدايات آذار التالي، حسبما نشرت صحيفة «معاريف».

وهذا يعني أن التطبيع الصناعي لم يتوقف بعد الثورة، إلا أسابيع قليلة ولأسباب متعلقة بالأوضاع الأمنية بشكل رئيس، وعاد لما كان عليه من دون أي تغيير.

أما التطبيع الزراعي فقد ذكر بعض قيادات وزارة الزراعة المصرية أنه متوقف منذ قيام الثورة، على حين يؤكد بعض العاملين بالوزارة أنه مستمر ولكن من دون غطاء إعلامي، وعموماً لم يذكر جديد في هذا الملف بعد قيام الثورة بخلاف الطماطم الإسرائيلية التي وجدت في الأسواق في الأشهر التالية على خلع حسني مبارك- كما أشرنا من قبل- وإن كان بادياً أن رجال التطبيع كانوا لا يزالون يسيطرون على المناصب القيادية في وزارة الزراعة طوال عام ٢٠١١، ولأن التطبيع الزراعي هو من أقدم مجالات التطبيع مع العدو الصهيوني، وأكثرها نشاطاً وتشابكاً، فلا نعتقد أنه توقف بمجرد خلع حسني مبارك، أو تغيير وزير الزراعة لأكثر من مرة، فذلك القطاع مقيد باتفاقات ومشاريع بحثية مشتركة لا يمكن وقفها وتفكيكها إلا بقرار سياسي واضح وحازم، وهذا ما لم يحدث في المرحلة التالية لثورة كانون الثاني٢٠١١ إلا أنه قد صدرت بعض القرارات للتخفيف من حدة التطبيع، أو للتعاطي مع الرأي العام الغاضب، كما حدث حين قرر وزير الزراعة المصري وقف تصدير سعف النخيل للكيان الصهيوني في أعقاب الاعتداءات الصهيونية على الحدود المصرية في آب٢٠١١م، ولكن تبقى المزارع المشتركة والشركات التي تستورد البذور والمبيدات الإسرائيلية والخبراء الإسرائيليون دليلاً ملموساً على استمرار التطبيع الزراعي، حتى لو خفت درجته وفعالياته!

هذه المعلومات والحقائق وغيرها وردت كلها بعد قيام ثورة كانون الثاني، وبدأت تظهر نتائجها في عام ٢٠١٤ خاصة مع تراجع حكم (الإخوان) الذين كانت واشنطن وتل أبيب قد نجحتا في ترويضهم ليقبلوا بكامب ديفيد ومعاهدة السلام بل يكونون وسطاء مع (حماس) عام ٢٠١٢ بعد العدوان الأول على غزة، إلا أن مصر مع قيادة المشير عبد الفتاح السيسي (٢٠١٤) مفتوحة جبهتها السياسية والعسكرية مع إسرائيل على احتمالات عدة.

إن المستقبل مفتوح على كل الاحتمالات ولكنه حتماً لن يعود إلى الوراء ثانية، ولن تستقر الأوضاع مع إسرائيل مثلما كانت في العهود السابقة، فلقد استيقظت روح المقاومة الوطنية والقومية المصرية مع ثورتي كانون الثاني ٢٠١١ و٢٠١٣/٦/٣٠.

ياسين بقوش نجم الكوميديا.. في ذكراه الخامسة

وائل العدس

قبل خمسة أعوام، استشهد أحد أهم الفنانين السوريين المؤسسين جراء قذيفة هاون أطلقتها مجموعة إرهابية مسلحة على سيارته أمام منزله في مخيم اليرموك بدمشق عن عمر ٧٥ عاماً.

إنه ياسين بقوش الذي اشتهر بأعماله الفنية الكوميدية مطلع السبعينيات مع الفنانين الكبيرين دريد لحام ونهاد قلعي بدور «ياسين» صاحب شخصية الإنسان البسيط والساذج.

هو واحد من أولئك العمالقة الذين أرسوا الكوميديا السورية سينمائياً ومسرحياً وتلفزيونياً، وأحد الأركان المهمة في الدراما السورية حيث تخصص بشخصية مستقلة تماماً استطاعت أن تدخل قلوب الجماهير العربية والجماهير السورية.

«ياسينو» صاحب المسيرة الإبداعية المتميزة ترك فراغاً لا يستطيع أحد ملأه لأن التميز والخصوصية كانا أهم سماته خلال هذه المسيرة التي لا يستطيع أحد ملامستها. أهمله المنتجون والمخرجون في العشرين عاماً الأخيرة من حياته ما دفع به ليعمل ممثلاً للأدوار الثانية والثالثة في الإذاعة.

مجد وشهرة

اكتشفه القصاص الشعبي حكمت محسن وأشركه معه في سلسلة إذاعية كانت بعنوان «متعب أفندي» حيث كانت المحطة الإذاعية الأولى له وبعد هذه الفترة انتقل إلى المسرح القومي.

ورغم أن مجده صنع برفقة مؤسسي الكوميديا السورية دريد لحام ونهاد قلعي ورفيق سبيعي وناجي جبر، فإن البداية كانت على يدي عبد اللطيف فتحي (أبو كلبشة) الذي أسس فرقة «المسرح الحر». عمل ياسين معه منذ عام ١٩٥٦، ثم انتقل إلى «مسرح العرائس»، وكان واحداً من ممثلي المسرح القومي، وعمل في مسرحية سعد الله ونوس «سهرة مع أبي خليل القباني» للمخرج أسعد فضة، إضافة إلى عمله أواخر الستينيات مع عمر حجو في «مسرح الشوك».

لكن كل ذلك كان نقطة في بحر الشهرة التي حصدها الكاراكتر الذي صنعه نهاد قلعي، فرسخ «ياسينو» في ذاكرة الجمهور ولم تتمكن سنوات غيابه الطويلة من محو أثره. من «صح النوم» إلى «مقالب غوار» و«ملح وسكر» و«وادي المسك» و«عريس الهنا» و«تلفزيون المرح»، ظل بقوش أسير شخصية تؤلف الطيبة والفرح الذي يولد من رحم السذاجة.

ورغم بساطته في أدواره الفنية فإنه كان فناناً مثقفاً يقرأ كثيراً.

قدم عشرات الأعمال التلفزيونية والسينمائية الكوميدية وفي السنوات الأخيرة شارك في عدد من الأعمال الكوميدية والتاريخية ومنها ما اعتمد عليه كممثل رئيسي مثل «ياسين تورز» و«ياسين في المطبخ» وشارك بدور حاخام يهودي في المسلسل التاريخي «سيف بن ذي يزن» كما شارك في بطولة مسرحيات كوميدية قدمت على مسارح العاصمة دمشق.

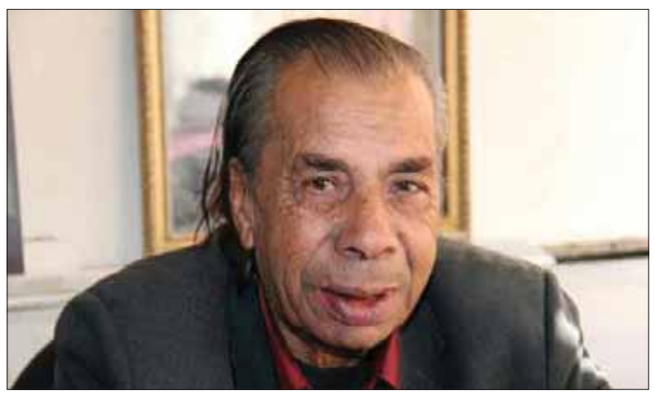

وسام الاستحقاق

أصدر الرئيس بشار الأسد المرسوم رقم ٩٦ للعام ٢٠١٣ لمنح بقوش وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة تقديراً لجهوده وإنجازاته في خدمة الفن، سلمته الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية لعائلته.

ونوهت العطار وقتها بما قدمه الفنان ياسين بقوش إلى جانب رفاق دربه من إنجازات للفن والوطن في رحلة عمر حملت مشاعل الإبداع ترك فيها بصماته في حياتنا الفنية الناشئة منذ بدايات ستينيات القرن الماضي في المسرح والسينما والتلفزيون.

وأكدت أن يد الإجرام الأسود التي اغتالت بأبشع طريقة فناناً جماهيرياً أحبه الناس هي نفسها التي تعيث في أرضنا وتختطف أحباءنا ومناضلينا والصفوة من أبنائنا وشبابنا وتعمل على تدمير بيوتنا ومنشآتنا ومساجدنا وكنائسنا ومستشفياتنا ومدارسنا ودور الأهل الآمنة في أحيائنا وتقوم بتدمير اقتصادنا وتراثنا وتستلب لقمة العيش من أطفالنا.

وأشارت إلى أن الفنان الراحل ينضم إلى قوافل المجد من كتاب وإعلاميين ومبدعين كما المناضلين من أبناء جيشنا البواسل الذين أعددناهم لحماية أرضنا من كل عدوان متوقع ولم نتصور مطلقاً أنهم سيقضون على أيدي إخوة لهم من سورية مغرر بهم أو من الوطن العربي الذي كنا ومازلنا على استعداد لافتدائه بالروح وبكل ما نملك.

وشددت على أن سورية احتضنت ياسين بقوش ابن ليبيا الشقيقة وتبنته كما تبنت كل عربي وجد فيها ملاذاً لم يشعر يوماً أنه ليس ابن سورية وهو القائل: «لم أشعر يوماً أنني من ليبيا.. هذا البلد الأمين سورية لم يعلمني سوى الخير والمحبة.. هذا البلد عشت فيه كل حياتي تربيت وكبرت وعملت وتزوجت وأنجبت في كنفه ولن أغادره إلا إلى الموت ولن أغادره ولو مت أنا وأطفالي من الجوع».

وقالت: «إن ياسين بقوش باقٍ في قلوبنا وفي ذاكرتنا وفيما ترك من أعمال.. سلام عليك شهيداً يا أبا الهيثم وسلام على كل شهدائنا الذين رووا أرضنا بدمائهم أطفالاً ونساء ورجالاً.. وسلام على أبطالنا البواسل من قواتنا المسلحة الذين قضوا وهم يدافعون عن أهلهم ووطنهم وسلامه واستقراره وما بدلوا تبديلاً».

مسيرتي الفنية

في إحدى حواراته الصحفية، تحدث بقوش عن مسيرته الفنية الطويلة فقال: أنظر إلى مسيرتي الفنية وأنا أعتز بها لأني استفدت منها كثيراً ثقافياً وأدبياً واجتماعياً وربيت أولادي على هذا النهج، فكلما نظرت إلى أولادي وهم يحملون ثقافة عالية أحس نفسي أني ملك هذا العصر على بيتي وأهلي وأصدقائي، وهذا الاعتزاز بالأخلاق يجعلك إنساناً عالي الرأس، بهذا الحب من الناس ومحبتهم المحيطة بي في الشارع وفي البيوت والمقاهي وكلما شاهدوني يبتسمون لي، ما يجعلني أملك كل شي من السعادة في هذه الحياة.